سلسلة مطويات شبكة بينونة

الصبر ضياء

الشيخ د. خالد بن محمد الزعابي

www.baynoona.net
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فدين الإسلام دين الأخلاق الحسنة الكريمة التي علّمنا إياها رسول الله ﷺ. ومن هذه الأخلاق؛ **خلق الصبر.**

الصبر وصفه النبي ﷺ بقوله: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[1] فالصبر يُضيء للمسلم حياته، وييسّر له أمره، ويشرح له نفسه، ويعينه على التغلب على متاعب هذه الحياة التي يواجهها المسلم.

والنبي ﷺ لما عبّر بقوله: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» فيه إشارةٌ إلى شدة الصبر على النفس، فقوله أن الصبر ضياء هو كضوء الشمس، الناس يستفيدون منه ويُنير لهم حياتهم، وييسر عليهم أمورهم، لكن مع شيء من الشدة والحرارة في ضوء الشمس، وكذلك الصبر ثقيلٌ على النفس، فليس سهلًا أن يصبر الإنسان على المصائب وعلى المتاعب التي يواجهها.

لكنه إذا دعا الله ﷻ وعوّد نفسه الصبر تعوّد عليه، كما قال ﷺ: «وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهَ»[2] فالصبر هبةٌ من الله مع شيء من تدريب النفس

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٢) متفق عليه.

على هذا الأمر العظيم؛ لأن فائدته كبيرةٌ على الإنسان.

والصبر بتتبع نصوص الكتاب والسنة يدور حول ثلاث معاني:

المعنى الأول: الصبر على طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأن الصبر هو حبس النفس، وإلزام النفس سواء في جانب فعل الخير، أو ترك الشر.

ومن أنواعه: النوع الأول الذي هو الصبر على طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أي: حبس النفس وإلزامها بطاعة الله ﷻ، ويظهر ذلك جليًا في كثيرٍ من العبادات، فمثلًا أداء الصلاة يحتاج إلى صبرٍ في أدائها في أوقاتها، وصبر من أجل أداء الطهارة، والالتزام بها، وصبرٍ على أداء الصلاة مع الجماعة إن كان من الرجال، وكذلك المرأة تصبر وتؤدي هذه الفرائض التي هي الصلوات الخمس في أوقاتها في بيتها.

وكذلك إذا نظرنا إلى عبادة الصيام، فالصيام هو عبادة الصبر الكبرى، يصبر فيه المسلم عن المحرم، ويصبر أيضًا عن المباحات في غير الصيام كالطعام والشراب ونحوها، فهو يُعلّم الإنسان الصبر ويدربه عليه، وكذلك الزكاة تحتاج إلى صبرٍ في أدائها وإخراجها، والحج مدرسةٌ عظيمةٌ للصبر، يصبر فيه المسلم إن تعرض لأذى أو شيءٍ من المشقة والتعب طلبًا للأجر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فكل العبادات تحتاج إلى صبرٍ لأدائها، فيصبر المسلم ليؤديها كاملةً كما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكما علّمنا النبي ﷺ، هذا هو النوع الأول الذي هو الصبر على طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

النوع الثاني: هو الصبر عن معصية الله ﷻ فيصبر المسلم عن معاصي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حتى لا يقع فيها، ويبتعد عن المحرمات، فقد تدعوه نفسه إلى الوقوع في شيءٍ من الكبائر، أو شيءٍ من الذنوب، وتُزين له هذه النفس الوقوع فيها، أو ارتكاب شيءٍ من الأفعال القبيحة، أو الأقوال السيئة فيمنع نفسه ويحجز نفسه بالصبر مع التوكل على الله ﷻ عن الوقوع في هذه المحرمات، فهو دائمًا يُراقب نفسه حتى لا يفعل شيئًا مما يُغضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فتجده صابرًا محتسبًا للأجر من الله ﷻ.

النوع الثالث: هو الصبر على أقدار الله ﷻ المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان في حياته، فالمسلم في هذه الحياة يدرك أنه في دار ابتلاء وامتحان واختبار، وأنها ليست بدار إقامة، إنما هي دارٌ يعرضه الله ﷻ فيها لنعمٍ وبلايا فينظر منه كيف يعبد الله ﷻ تجاه هذه الأمور.

فقد يُصاب الإنسان بشيءٍ من المصائب في هذه الحياة الدنيا من فقد الأولاد، أو موت قريب، أو خسارةٍ في التجارة، أو صعوبةٍ في الحصول على

الرزق مثلًا، فعليه أن يقابل كل هذه الأمور بالصبر واحتساب الأجر من الله ﷻ حتى لا يضيع عليه عمله في هذه الحياة الدنيا.

وإن الصّفة الطّيّبة التي يُمدح عليها الإنسان هي صبره في بداية الأمر، وعند بداية المصيبة كما قال ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» يعني عند بداية الأمر، وشدة المصيبة، وحرارة الفاجعة التي تعرّض لها الإنسان.

فيصبر ويعلم أن هذا الأمر بقضاء الله وقدره، وأنه مكتوب عليه لا مفر منه، لكنه لا يضيع الأجر على نفسه بالتسخط على هذه الأقدار، إذ ليس من فعل الصابرين رفع الصوت، أو شق الثياب أو أن يضرب نفسه إذا تعرض لمصيبة، أو يتكلم بكلامٍ سيء ويقول مثلًا: لماذا قدّر الله عليّ هذا الأمر؟ لماذا فقدت ولدي من سائر الناس؟ لماذا أنا أخسر في تجارتي؟

بل يتوكل على الله ويُعود نفسه الصبر حتى لا يضيع عليه أجر هذه العبادة العظيمة التي هي عبادة الصبر.

إذًا الصبر يدور حول هذه المعاني، الصبر على طاعة الله ﷻ بأن يفعلها ويؤديها، والصبر عن معصية الله ﷻ حذرًا من الوقوع فيها، والصبر على الأقدار وعلى المصائب التي يتعرض لها الإنسان بأن لا يتسخط هذه المصائب التي تقع

لـه في هـذه الحيـاة الدنيـا؛ لأنـه يُذكّـر دائمًـا نفسـه بعظيـم الأجـر والثـواب عنـد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويعلـم أن الصـبر أجـره وثوابـه عظيـمٌ وكبـير.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

فثواب الصبر ليس له حدٌ وليس محصورًا بحدٍ ولا عد.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

لمزيد من المطويات